مرجعيات الحظ في الشعر العراقي الحديث

الجزء الاول

الاستاذ الدكتور صدام فهد الاسدي

اجد في نفسي حاجة الى التحدث عن الحظ ذلك الظل الانساني الذي لا يفارق احدنا فكراً وسلوكاً ومسببات خاصة اولئك اليائسين من الحياة وربما سيكون حديثي معتمدا على اراء خاصة لا تتكئ على جدار صلب ولا اريد اثارة سورة غضب الناس نقاداً ومتذوقين وعلماء نفس يفسرون مرجعيات هذا البحث مغالطة واجتهاداً ، ولعلي اثبت صحة اللفظة (الحظ) وانطلق من المصدر الرئيس للغة (القرآن الكريم) فقد وردت سبع مرات في سور خمس كريمات ، في سورة النساء مرتين (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) ١١ وقوله (وان كانوا اخوة رجالا ونساءاً فلذكر مثل حظ الانثيين) ١٧٦ وفي سورة المائدة مرتين (يحرفون الكلم عن مواضع ونسوا حظاً مما ذكروا به) ١٣ وقوله (قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقكم فنسوا حظاً مما ذكروا به) ١٤ وفي سورة القصص (مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم) ٧٩ وفي سورة فصلت (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) ٣٥ وفي سورة آل عمران (الا يجعل لهم حظاً في الاخرة) ٧٦ وقد دلت اللفظة على النصيب والقسمة والمكتوب على الانسان في حياته وعند بحثنا عن اللفظة في الشعر وجدنا دلالات ومرجعيات متعددة فالشعراء يجدون انفسهم مظلومين خالين من الحظ تماماً وقد جاءت اللفظة في معادلة لبيد العامري :

فمنهم سعيد أخذ لنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانع

ويرى مجنون ليلى حظه عاثراً في حب ليلى :

وما لهم لا احسن الله حفظهم من الحظ في تصريم ليلى حباليا

ولن تغادر الذاكرة تلك الابيات (ان حظي كدقيق فوق شوك نثروه ثم قالوا لحفات يوم ريح اجمعوه) ولن ننسى المثل القائل (سبع صنايع والبخت ضايع) ومن اشهر اقوال ابي تمام في الحظ

والحظ يعطاه غير طالبه ويحرز الدر غير محتلبه

ويظهر لنا الشكوى من الدهر وتقديمه من لا يستحق من الناس على الذين يستحقون الاكرام والانعام .

ولا اريد ان اناقش دلالتها النفسية وصحة دقتها وموقف العلم منها اراها مهيمنه على دالات اجتماعية واقعية ترد عند الشعراء وفي مختلف الاغراض الشعرية وخاصة الشكوى فالشعراء يشكون من الحرمان واليأس والصدمات النفسية وعدم الوفاء فالحظ هو القيد والمشكلة عند الشاعر عدي بن زيد العبادي فقد سجنه النعمان ظلما وقهرا اذا قال

حظي كان مشكلة وقيداً وغلا والبيان لدى الطبيب

ويبدو ان الشاعر مؤمن بالمكتوب عليه ولابد من ملاقاة القدر المحدد واذا كانت مرجعيات الحظ في القديم راسخة في التأمل والتفلسف فأنها مختلطة في العصر الحديث فمن الشعراء من يرى الحظ سمة تلصق بالإنسان فمرة تكون خيرا ومرة شرا لذا يرفضها البعض كقول الشاعر رزوق فرج رزوق

ويذكرون عصاميا تسوده النفس الابية لا حظ ودينار

ويى الشاعر احمد الصافي النجفي من بواعث الحزن والكد والحرمان يقول :

اذا ربح اليانصيب الاديب وحظ الاديب العنا والكدر

وقد اصدر الصافي من الحظ بل كرهه كرها اذ قال

ولكنني للحظ ما عشت مزدر فمن حسن حظي لست بالحظ امن

ان الشاعر لا يؤمن بالحظ مطلقاً بل يتناقض مرة اخرى ويعترف بتجربة الحظ وخسارته

اتاني لاعب بالحظ يوما يصيد اللاعبين بسحر لفظ

متى تأتي الحظوظ اليه حالا يسودها بسحر فم ولحظ

اتاني قائلا للحظ جرب فقلت اذهب لقد جربت حظي

وفي موقع اخر يعترف بان الحظ قد ابتعد عنه منذ صغره وقد قرر برفضه حين يأتيه وقت الكبر وقد بكى الصافي على فقدانه مبكرا

نأى الحظ عني في صباي وانني سأرفضه ان جاء في اخر العمر

وقال الجواهري الشاعر الكبير في الحظ ايضا :

تقحم لعنت ازيز الرصاص وجرب من الحظ ما يقسم

وقال قبله الشاعر الشريف الرضي

وكيف اصلي بدار الصغار

ولي همة تزدري بالذرى

يتبع الجزء ثاني